

كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ

(2)

الميسرات الباطنة أربعة أمور

الأول : سلامه القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق بهم بتدبر الدين لا يتيسر له القيام، وإن قام فلا يتفكر في صلاتة إلا في مهماته ولا يجعل إلا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال :

يُخْبِرُنِي الْبَوَابُ أَنْكَ نَائِمٌ ... وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمٌ

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكّر في أحوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس: إن ذكر جهنم طير نوم العابدين. وكما حكي أن غلاماً بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته: إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار، فقال: إن صهيباً إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال: إذا ذكرت النار اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام

وقال ذو النون المصري رحمة الله :

مَنْعَ الْقُرْآنَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيْدِهِ ... مَقْلَعِيْنَ بِلِلَّهِ أَنْ تَهْجَعَا
فَهَمُوا عَنِ الْمَلْكِ الْجَلِيلِ كَلَامَهِ ... فَرَقَابَهُمْ ذَلَتْ إِلَيْهِ تَخْضُعاً
وَأَنْشَدُوا أَيْضًا :

يَا طَوِيلَ الرِّقَادِ وَالْغَلَاثَاتِ ... كُثْرَةُ النَّوْمِ تُورِثُ الْحَسَرَاتِ
إِنْ فِي الْقَبْرِ إِنْ نَزَلَتْ إِلَيْهِ ... لِرِقَادِهِ يَطْوُلُ بَعْدَ الْمَمَاتِ
وَمَهَادِهِ مَهَادِهِ لَكَ فِيهِ ... بِذَنْبِكِ عَمِلْتَ أَوْ حَسَنَاتِ
أَمْنَتِ الْبَيَاتِ مِنْ مَلْكِ الْمَوْتَى ... تَوَكَّلْتَ أَمْنًا بِبَيَاتِ
وَقَالَ ابْنُ الْمَبَارِكَ :

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابِدُوهُ ... فَيَسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رَكُوعٌ
أَطْارُ الْخَوْفِ نُوْمُهُمْ فَقَامُوا ... وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدِّينِ هَجَوُعٌ

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والأثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان؛ كما حكي أن أحد الصالحين رجع من غزوهه فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقلت له زوجته : كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صلیت إلى الصبح ؟ قال : والله إني كنت أتفكر في حوراء من حور الجناء طول الليل فتنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليالي شوقاً إليها.

الرابع : وهو أشرف البواعث ؛ الحب لله وقوه الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه، فإذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام. ولا ينبغي أن يستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنفل.

"**قيام الليل شرف المؤمن**" ... كما ورد في الحديث الشريف . ومن كثرت صلاتة بالليل ، حسن وجهه بالنهار...
كما يقول الحسن البصري ، رحمة الله تعالى .

وشكى رجل للحسن البصري رحمة الله تعالى ، عدم استطاعته القيام بالليل ، فقال له الحسن : قيدتك ذنبك . وسئل الحسن البصري رحمة الله ، ما بال المتهجدين بالليل ، من أحسن الناس وجوها ؟ فقال: خلو مع الله ، فكساهم الله من نوره ... وكان **هارون الرشيد** رحمة الله تعالى ، لا ينام ، حتى يصلي كل ليلة مئة ركعة ... وذلك منذ ولد الخليفة ، إلى حين وفاته ، رحمة الله تعالى . كما كانت السيدة التقية **رابعة العدوية** ، رحمة الله تعالى ، تصلي في كل ليلة ،) 400 (ركعة . وكان **عامر البصري** رحمة الله تعالى ، يصلي في كل ليلة ألف ركعة ... كما ورد عنهم في كتب التراجم والسير . وكانت المرأة من السلف الصالحة ، تقول لزوجها : هل تريد مني شيئا ؟ فإذا لم يرد منها شيئا ، تقول له : هل تأذن لي في قيام الليل ؟ ، فيأذن لها ، فتصلي إلى الفجر !!!

فأين نحن من هذا وذاك وتلك ؟! يا حسرة علينا ، على ما فرطنا ، في حق ربنا ، وحق أنفسنا ... غفرانك اللهم ، بعبادك الضعفاء العاجزين ، المذنبين المقصرين ... ولكن ... وعلى أقل تقدير ... وكما قال الهادي البشير الرؤوف الرحيم يأمهـه ، [] : مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَانَمَا قَامَ نَصْفَ اللَّيلِ ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَانَمَا صَلَّى اللَّيلَ كُلَّهُ ... اللهم أعنـا عـلى ذـكرك وـشكـرك وـحسن عـبادـتك ، ولا تـجعلـنا مـن الغـافـلـين ... اللـهم تـبـ عـلـيـنا يـا ربـ ، وـتـجاـوزـ عـنا وـاعـفـ عـنا وـارـحـ تـقـصـيرـنا ... اللـهم آمـين ...

قال الفضيل بن عياض: إذا غرت الشمس فرحت بدخول الظلام لخلوتي فيه بربـيـ، فإذا طلع الفجر حزنت لدخول الناس عـلـيـ .

وقال أبو سليمان: أهل الليل في ليهم أذن من أهل اللهو في لهوـمـ، ولوـلاـ اللـيلـ ماـ أحـبـيـ الـبقاءـ فيـ الدـنـيـاـ وقال أيضاً: لو عوضـ اللهـ عـزـ وجـلـ أـهـلـ اللـيلـ منـ ثـوابـ أـعـمـالـهـ ماـ يـجـدـونـهـ فيـ قـلـوبـهـمـ منـ اللـذـةـ لـكـانـ ذـلـكـ أـكـبـرـ منـ أـعـمـالـهـ

وقال بعضـ العـلـمـاءـ: لـيـسـ فـيـ الدـنـيـاـ وقتـ يـشـبـهـ نـعـيمـ أـهـلـ الـجـنـةـ إـلـاـ مـاـ يـجـدـهـ أـهـلـ التـمـلـقـ فـيـ قـلـوبـهـمـ بـالـلـيلـ مـنـ حـلـوةـ المـنـاجـاـةـ

وقال بعضـهـمـ: قـيـامـ الـلـيلـ وـالـتـمـلـقـ لـلـحـبـيـبـ وـالـمـنـاجـاـةـ لـلـقـرـيبـ فـيـ الدـنـيـاـ لـيـسـ مـنـ الدـنـيـاـ هوـ مـنـ الـجـنـةـ أـظـهـرـ لـأـهـلـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ الدـنـيـاـ، لاـ يـعـرـفـهـ إـلـاـ هـمـ، وـلـاـ يـجـدـهـ سـواـهـ رـوـحـاـ لـقـلـوبـهـمـ

وقال عـتبـةـ الـغـلامـ: كـابـدـتـ الـلـيلـ عـشـرـينـ سـنـةـ، ثـمـ تـنـعـمـتـ بـهـ عـشـرـينـ سـنـةـ وـقـالـ يـوسـفـ بـنـ أـسـبـاطـ: قـيـامـ لـيـلـةـ أـسـهـلـ عـلـيـ مـنـ عـلـمـ قـفـةـ وـكـانـ يـعـمـلـ كـلـ يـوـمـ عـشـرـ قـفـافـ

وقـالـ غـيرـهـ: مـاـ رـأـيـتـ أـعـجـبـ مـنـ الـلـيلـ إـلـاـ اـضـطـرـيـتـ تـحـتـهـ غـلـبـكـ، وـإـنـ ثـبـتـ لـهـ لـمـ يـقـفـ وـيـكـيـ عـامـرـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ حـيـنـ حـضـرـتـهـ الـوـفـاةـ فـقـيلـ لـهـ ذـلـكـ فـقـالـ: وـالـلـهـ مـاـ أـبـكـيـ حـبـاـ لـلـبـقاءـ وـلـكـنـ ذـكـرـ ظـمـاـ الـهـوـاجـرـ فـيـ الصـيفـ وـقـيـامـ الـلـيلـ فـيـ الشـتـاءـ

وقـالـ اـبـنـ الـمـنـكـدـرـ: مـاـ بـقـيـ مـنـ لـذـاتـ الدـنـيـاـ إـلـاـ ثـلـاثـ: قـيـامـ الـلـيلـ، وـلـقـاءـ الـإـخـوـنـ، وـالـصـلـاـةـ فـيـ جـمـاعـةـ وـقـالـ بـعـضـ الـعـارـفـينـ: إـنـ اللـهـ عـزـ وجـلـ يـنـظـرـ بـالـأـسـحـارـ إـلـىـ قـلـوبـ الـمـتـيقـظـينـ فـيـلـمـؤـهاـ أـنـوـارـاـ فـتـرـدـ الـفـوـائـدـ عـلـىـ قـلـوبـهـمـ فـتـسـتـنـيرـ ثـمـ تـنـشـرـ مـنـ قـلـوبـهـمـ الـعـوـافـيـ إـلـىـ قـلـوبـ الـغـافـلـينـ.

فوائد قـيـامـ الـلـيلـ

وفي قـيـامـ الـلـيلـ مـنـ الـفـوـائـدـ جـمـلـةـ ، فـلـاـ يـنـبـغـيـ لـطـالـبـ الـعـلـمـ أـنـ يـفـوتـهـ مـنـهـ شـيـءـ

الأول : أـنـ يـحـطـ الذـنـوبـ كـمـاـ يـحـطـ الـرـبـحـ الـعـاصـفـ الـوـرـقـ الـيـابـسـ مـنـ الشـجـرـةـ .

الثـاني : أـنـهـ يـنـورـ الـقـلـبـ .

الثـالـث : أـنـهـ يـحـسـنـ الـوـجـهـ .

الراـبـعـ : أـنـهـ يـذـهـبـ الـكـسـلـ ، وـيـنـشـطـ الـبـدنـ .

الخامـسـ : أـنـ مـوـضـعـهـ تـرـاهـ الـمـلـاـثـكـةـ مـنـ السـمـاءـ كـمـاـ يـتـرـاعـىـ الـكـوـكـبـ الدـرـىـ لـنـاـ فـيـ السـمـاءـ .

وـقـدـ روـيـ التـرـمـذـيـ عـنـ بـلـالـ ، وـأـبـيـ أـمـامـةـ قـالـاـ: إـنـ رـسـوـلـ اللـهـ [] قـالـ: أـعـلـيـكـمـ قـيـامـ الـلـيلـ فـإـنـهـ دـآـبـ الـصـالـحـينـ قـبـلـكـمـ

وـرـوـيـ أـبـوـ دـاـوـدـ فـيـ سـنـتـهـ عـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـ وـبـنـ الـعـاصـ قـالـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ []: مـنـ قـامـ بـعـشـرـ آـيـاتـ لـمـ يـكـتـبـ مـنـ

الـغـافـلـينـ ، وـمـنـ قـامـ بـمـائـةـ آـيـةـ كـتـبـ مـنـ الـقـانـتـينـ ، وـمـنـ قـامـ بـأـلـفـ آـيـةـ كـتـبـ مـنـ الـمـقـنـطـرـينـ .

هـذـاـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ وـنـسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـجـعـلـنـاـ مـنـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ كـانـوـاـ قـلـيـلاـ

مـنـ الـلـيلـ مـاـ يـهـجـعـونـ

كاتبـ المـقـاـلـةـ: الشـيـخـ / مـحـمـدـ فـرجـ الـأـصـفـرـ

تـارـيخـ النـشـرـ: 14/10/2010

مـنـ مـوـقـعـ: مـوـقـعـ الشـيـخـ مـحـمـدـ فـرجـ الـأـصـفـرـ

رـابـطـ المـوـقـعـ: www.mohammfarag.com